وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا
يعملون فليحمد الله تع على توفيقه للطاعات التي يترتب عليها الخير والثواب
فضلا منه تع ورحمة وعلى ابتدائه ما وصل اليه من عظيم الثواب اي لا
يجب عليه شي لاحد من خلقه فعلم انه لمن اريد بذلك الاخرة فقط كان
الامر بذلك بمعنى الاخبار بان من وجد خيرا فيها حمد الله تعالى عليه ومن وجد
غيره لام نفسه حين لا ينفعه اللوم وجاء في روايات الاخبار عن اهل
الجنة بانهم يحمدون الحمد لله الذي هدانا لهذا الحمد لله الذي صدقنا وعده
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الايات وعن اهل النار بانهم يلومون انفسهم
فلا تلوموني ولوموا انفسكم ان الذين كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم
انفسكم الايتين واخرج الترمذي ما من ميت يموت الا ندم فان كان محسنا
ندم ان لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم ان لا يكون استعتب اذ لا يجب
عليه شي لاحد من خلقه ومن وجد غير ذلك اي شرا ولم يذكره بلفظه تعليما
لنا كيفية الادب في النطق بالكناية عما يؤذي ومثله ما يستقبح او
يستحيي من ذكره او اشارة الى انه اذا اجتنب لفظه فكيف الوقوع فيه
او الى انه سبحانه وتع حيي كريم يحب الستر ثم رايت بعضهم اجاب بجواب
اخر فقال ولم يقل شرا اشارة الى انه اذا اجتنب لفظه فكيف الوقوع
فلا يلومن الا نفسه فانها اثرت شهواتها ومستلذاتها على رضى خالقها
ورازقها فكفرت بانعم الله ولم تذعن لاحكامه وحكمه فاستحقت
ان يعاملها بمظهر عدله وان يحرمها مزايا جوده وفضله فنسال الله تع
العافية من ذلك وان يمن علينا بالسلامة من خوض غمرة هذه المهالك
الى ان نلقاه مبشرين بقربه ورضاه امين واحتيج هنا التاكيد بالنون
تحذيرا ان يخطر في قلب عامل انه يستحق اللوم غير نفسه وليس كذلك
لان الله تع اوضح واعذر حيث لم يبق حجة لاحد وفيه ايما الى ذم ابن ادم
وقلة انصافه فانه يحسب طاعته من عمله لنفسه ولا ينسبها الى التوفيق

ويتبرا

ويتبرا من معاصيه ويسندها الى الاقدار فان كان لا تصرف له كما
يزعم فهلا كان ذلك في الامرين وان كان له تصرف فلم ينفيه عن احدهما
ووجه ختم هذا الحديث بهذه الجملة التنبيه على ان عدم الاستقلال
بنحو الاطعام والستر لا يناقض التكليف بالفعل تارة وبالترك اخرى
لانا وان علمنا انا لا نستقل لكننا نحس بوجدان الفرق بين الحركة
الاضطرارية كحركة المرتعش والاختيارية كحركة السليم
وهذه التفرقة راجعة الى تمكن محسوس مشاهد وامر معتاد يوجد
مع الاختيار دون الاضطرار وهذا هو مورد التكليف المعبر
عنه بالكسب فلا تناقض ولا تعسف والحاصل ان المعاصي التي
يترتب عليها العقاب والسخط وان كانت بقدرة الله تعالى وخلقه لانه
يعني بكسب العبد فليلم نفسه لتفريطه باكتساب القبيح وان قول
القدرية هذا حجة لنا لان لوم العبد نفسه على سوء العاقبة
يقتضي انه الخالق لافعاله وان قوله فلا يلومن الا نفسه يتنصل
من المعصية وليس له فيها تاثير بخلق وفعل ولا تقدير باطل
بنص قوله تع والله خلقكم وما تعملون كذلك يضل الله من يشاء ويهدي
من يشاء والايات في نحو هذا المعنى كثيرة وقدمت منها جملة في شرح
قوله كلكم ضال الا من هديته ثم يلزمهم ان من وجد خيرا لا يحمد الله
لانه لا اثر له على ما زعموا بل يحمد الانسان نفسه لانه الخالق لطاعته
الموجد لسلامته وهذا مراغمة للنص المذكور وغيره وقد اخبر تع
عن اهل الجنة بانهم يقولون فيها الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي
لولا ان هدانا الله رواه مسلم وهو حديث عظيم رباني مشتمل على قواعد
عظيمة في اصول الدين وفروعه وادابه ولطائف القلوب وغيرها وقد
ساقه المص رحمه الله تع في اذكاره باسناده وختم به وفيه عن رسول الله
عليه السلام عن جبريل عن الله سبحانه وتع ثم قال ان ابا ادريس راويه عن ابي ذر